جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'Sila
مخبر الشعرية الجزائرية
Laboratoire la Poétique Algérienne

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

أعمال الكتاب الجماعي الدولي الأول

جهـــود المفكرين العـرب فـــي التعرف علـــى الحضارة الغربية

أثـــــر ثقافة الاستغـــــراب في اللغة و الأدب العربي

The efforts of Arab thinkers to identify the Western civilization

The impact of the Occidentalism culture on Arabic language and literature

15 ماي 2021 / 15 MAI 2021

منْشورات مخْبر الشّعرية الجزائرية

البدر الساطع للطباعة والنشر
EL-BADR ESSATIE IMPRESSION ET EDITION

تنسيق

د. بحوص زكري

رقم الإيداع القانوني
978- 9931- 752- 47- 9

عنوان الكتاب

أعمال الاستكتاب الدولي الأول

الاستكتاب الدولي الأول لمخبر الشعرية الجزائرية

جهود الباحثين العرب في التعرف على الحضارة الغربية

ماي 2021

جمع الحقوق محفوظة

ماينشر من مداخلات في هذا الكتاب الجماعي يعبر عن أفكار أصحابها مع

تحملهم المسؤولية القانونية والأخلاقية عنها

تنسيق وإشراف رئيس الملتقى الدكتور:

الدكتور بحوص زكري

مراجعة أ.د. فتحي بوخالفة مدير مخبر الشعرية الجزائرية جامعة المسيلة الجزائر

منشورات مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة محمدبوضياف المسيلة 2021

اللجنة العلمية للاستكتاب:

الدكتور خليفة عوشاش جامعة المسيلة رئيسا

الأستاذ الدكتور / فتحي بوخالفة	جامعة المسيلة	الجزائر
الدكتور / محمد محبوب عالم	جامعة جواهر لال نهرو	الهند
الأستاذة الدكتورة/ جودي فارس البطاينة	جامعة جرش الاهلية	الأردن
الدكتور/ ابراهيم زلافي	جامعة المسيلة	الجزائر
الأستاذ الدكتور / مسعود وقاد	جامعة الوادي	الجزائر
الأستاذ الدكتور/ عبد الرحيم عزام المراشدة	جامعة عجلون	الأردن
الأستاذ الدكتور/ هامل الشيخ	جامعة عين تيموشنت	الجزائر
الأستاذ الدكتور/ ياسين العرود	جامعة البلقاء التطبيقية	الأردن
الأستاذ الدكتور / عيسى بوفسيو	جامعة المسيلة	الجزائر
الأستاذ الدكتور/ وليد عناتي	جامعة البتراء	الأردن
الأستاذ الدكتور/ الشريف مريبعي	جامعة تيبازة	الجزائر
الدكتور/ عبد الصمد لميش	جامعة المسيلة	الجزائر
الدكتور / صالح بوترعة	جامعة أم البواقي	الجزائر
الدكتور/ فتح الله بن عبدالله	جامعة المسيلة	الجزائر
الدكتور / اعمر غرباوي	المدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة	الجزائر
الدكتور / صالح فايد	المدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة	الجزائر

الفهـــــرس

العناوين	الصفحات
فهرس المشاركين	4-3
كلمة مدير المخبر	6
مداخلات الملتقى	234-7
علم الاستغراب: المفهوم والنشأة أ.د. جميل جمداوي-المغرب	33-7
الاستغراب مفهومه وجذور نشأته ودوافعه وأهدافه الدكتور: علي بعداش	43-34
إشكالية المصطلح بين الترجمة والتعريب الدكتور: كبير الشيخ	67-44
الفكر العربي بين التحرر والاتباع -حوارات في علم الاستغراب أنموذجاً- الدكتور: ابراهيم زلافي	78-68
الاستغراب مدخلا للأدب الرقمي العربي - جهود الترجمة نموذجاً - خديجة باللودمو	91-79
أساسيات الاستغراب عند عبد الوهاب المسيري الدكتور: خليفه عوشاش	102-92
الخطاب الروائي العربي بين وعي الذات و تجلي الاستغراب الدكتور: زكري بحوص	121-103
الاستغراب في -رواية عازف الغيوم-لعلي بدر الدكتور:مقران مراد	130-122
المفهوم الحسني لعلم الاستغراب قراءة تأصيلية تأسيسية الدكتورة فتيحة حلوي	143-131
أثر الاستغراب في اللسانيات العربية المعاصرة من خلال كتابات عبد الرحمن الحاج صالح.	153-144

الدكتور: عادل زواقــري	
الاستغراب عملية تحوّل اتّجاه الاستشراق الدكتور: فتح الله بن عبد الله الطالبة: نفيلة طيوب	161-154
الاستغراب بين علاقة الذات بالأخر وسؤال الإنسان الراهن هشام مصباح	171-162
استراتيجيات العرب قديما في تدوين الموروث الثقافي للأمم فـاطمة الزهـراء دريـدي طـالبـة دكتوراه	188-172
ثقافة الاستغراب وجدل الأنا والآخر رحلي نعيمة	202-189
Bayt al-H'ikma : cette lumière qui vient de l'Orient *Dr. Khalil BABA- Maroc*	221-203
Regards modérés de Malek Bennabi sur l'occidentalisme *Dr Salah FAID*	233-222
Altérité culturelle et le discours occidental à l'ère de la mondialisation/globalisation *Gherbaoui Amar*	243-234

كلمة السيد مدير المخبر

ضمن الأنشطة العلمية التي دأب مخبر الشعرية على تنظيمها الاستكتاب الدولي"**جهود المفكرين العرب في التعرف على الحضارة الغربية-أثر ثقافة الاستغراب في اللغة والأدب العربي-**". ويبدو أن الموضوع على شئ من اللاعتيادية،بحكم أن القارئ اعتاد على ظاهرة "**الاستشراق**"،بدل ظاهرة "**الاستغراب**".وليس في ذلك من مغالطة منهجية،لأنه لا يجب النظر إلى المسائل بنوع من التبعية والانقياد المستمر.

عودنا الاستشراق على التعريف بمنظورات الحضارة الغربية للآخر،الذي هو المشرق العربي.والواضح أن الاستشراق أفاد كثيرا الحضارة العربية الإسلامية من حيث الدراسة ومناهج البحث الموضوعي،وكشف الكثير من الآثار التراثية في تلك الحضارة الثرية،-بغض النظر-،عن الدوافع الاستعمارية التي حركت تلك الحركة العلمية،وحددت دواعي وجودها من الناحية الجوهرية والاستراتيجية.

في الوقت نفسه لا تعدم الوسيلة في التعرف على آثار ومنجزات الآخر،من خلال الاحتكاك بحضارته وما قدمه للإنسانية على مر التاريخ.من هذا الباب جاءت ظاهرة الاستغراب لتعطي الأهمية البالغة،في التعريف بمنجزات العرب،في فهم حضارة غيرهم،وتحديد منظورهم إليها.

إن الهدف الأساسي لهذا الاستكتاب، هو تحقيق خصوصية الفهم الجوهري،لمنظور العرب إزاء منجزات غيرهم من الغرب.والاقتراب أكثر من معرفة منجزات غيرهيم وفهم طبيعتها.في الآن نفسه يحرص الاستكتاب على التعريف بحركة الاستغراب،وتحديد خصوصيتها في الفكر العربي.ثم الاقتراب أكثر من جهود العرب القدامى في دراساتهم لفكر وآداب الأمم الأخرى؛بالإضافة إلى التعريف بجهود العرب المحدثين في دراسة الفكر والأدب الغربي.وصولا إلى التعريف بظاهرة الاستغراب وأثرها في اللغة والأدب العربي.

هذه أهم المحاور الأساسية التي يسعى الاستكتاب إلى إثرائها، من خلال البحوث المقترحة.وما ينبغي إدراكه أكثر، هو أن ظاهرة الاستغراب أعطت أهمية كبيرة للمنجزات العربية في نظرها للآخر الغربي.وهو ما يعطي الأمل في التعريف بتلك المجهودات الفكرية، التي من شأنها إعطاء الأهمية القصوى في دعم الهوية العربية من الناحية العلمية والفكرية، والتقليل أكثر من آثار الغزو الثقافي والفكري.

ومن جانب آخر،قد تكون ظاهرة الاستشراق ذات أبعاد إعلامية،أكثر من نظيرتها الاستغراب،وتلك مسألة طبيعية نتيجة التفوق الغربي في العصر الحديث في مختلف مناحي الحياة الإنسانية.ومع ذلك فظاهرة الاستغراب،ينبغي لها تحقيق المزيد من المنجزات،من إجل إبداع المزيد من الرؤى المتحولة.والاندماج أكثر في حركية التاريخ اللامحدودة،والتي نأمل يوما ما أن تتوقف ولو بشكل نسبي عند حدود منجزات العرب،في نظرتهم للآخر.

أ.د.فتحي بوخالفة

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

-جامعة المسيلة- الجزائر

أساسيات الاستغراب عند عبد الوهاب المسيري

الدكتور: خليفه عوشاش

جامعة المسيلة

ملخص:

شكل حجم التطورات في الحضارة الغربية حاجزا أمام بناء علم يستوعب الغرب استيعابا دقيقا وهادفا؛ فالتطورات العلمية طالت كل ميادين الحياة ، كما أن التقارير والدراسات والكتب العلمية التي تنتجها مؤسسات هذه الحضارة يستحيل الاطلاع عليها جميعا أو ترجمتها إلى لغات الشرق موطن علم الاستغراب، مما يفتح الباب على التفكير في طرح مجموعة من النقاط الأساسية التي يتم التعامل بها مع الحضارة الغربية، ولا شك أن هناك الكثير من التصورات التي أنجزها مفكرون من الشرق، وما عبارة "لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون" التي نالت نصيبا من الشهرة في وقت ما - والتي لا يزال طموح التقدم الذي ارتبط بالفكرة يتكرر منذ ما يقارب القرنين من الزمن- إلا دليلا على محاولات التعريف بالغرب وتبسيطه سلبا وإيجابا، ومن هؤلاء المفكرين الذين عرفوا الغرب عن كثب المفكر المصري عبد الوهاب المسيري الذي كتب في أهم قضايا الفكر الغربي رابطا إياها بفكر اليهود المنحرف أو المطرف، كاشفا أياه أنى عثر عليه ، ونظرا للتشعب الهائل لمنتجات وقضايا الحضارة الغربية الأمر المانع لاستيعابها تستعرض هذه الدراسة النقاط الأساسية التي طرحها المسيري في التعامل مع الفكر والحضارة الغربيين والتي هي شرط من شروط قيام أي مشروع شامل للاستقلال الفكري في بلاد المسلمين.

1- مقدمة:

الشعور بالتخلف الحضاري في الفكر العربي والإسلامي أصبح سمة من السمات التي تطبع الدراسات العربية، والإحساس بعدم القدرة على اللحاق بركب الحضارة الغربية في شتى الميادين تملك الباحثين في كل قطر عربي، أما التفكير في المنافسة فقد أصبح أمرا بعيد المنال فلا يمكن للشرق أن يسهم بشيء له أهمية في حياة الإنسان المعاصر، لكن التفكير في أسباب التخلف لم يتوقف، ولا أخاله يتوقف؛ فالشعور بالخصوصية التاريخية والدينية والفكرية وقود لا ينضب لمحرك متهالك لم يتخل بعد عن القيام بدوره.

كثيرة هي المحاولات العلمية والفكرية التي تحاول أن تبني دراساتها على أسباب تقدم الغرب، لتكون دليلا للخروج من التخلف العربي، وكثيرة كذلك الدراسات التي تتصيد مثالب الحضارة الغربية وترصد سقوطه انطلاقا من وجود ثغرات كبرى في بنيته الداخلية، فتصف تطوره بالنعيم القريب الزوال، وبالحضارة اللاإنسانية.

حاولت كثير من الدراسات العربية معرفة سر تقدم الغرب للاقتداء به، بغرض جعل التطور أصيلا لا شيئا عارضا في المجتمع العربي، فوقف أما دراسة الغرب ضخامة الإنتاج الفكري والعلمي الذي انبنت عليه حضارته، فلا الترجمة يمكنها تلخيص التطور ولا الاطلاع على الفكر والعلم في لغته الأصلية يمكن من ذلك فظهرت دعوات لبناء علم يدرس الغرب وحركته الحضارية في مقابل علم الاستشراق الذي خدم الغرب حضاريا وأطلق عليه اسم الاستغراب، ورغم أن المصطلح حديث نسبيا لا يتعدى عمره ثلاثة عقود، إلا أن مضمون الفكرة قديم يعود البعثات العلمية في عهد محمدعلي.

2- تعريف الاستغراب

في الجانب اللغوي للمصطلح يمكن القول إن مصطلح الاستغراب لم يشتق من الدائرة الدلالية أو الحقل الدلالي الذي عرفته العربية كما هو وارد في المعاجم القديمة فالمصطلح حديث يعود إلى القرن الماضي وهو وليد مصطلح الاستشراق، المخالف له في الوقت نفسه، وقد ظل دلالة المصطلح تعني أكثر ما تعنيه تغريب العالم الإسلامي وتبعيته لمنتجات الغرب في شتى مناحي الحياة والحضارة، إلى أن شحن بدلالة جديدة تحدده في دراسة الغرب دراسة علمية موضوعية كظاهرة من الظواهر ، وأبرز دراسة تكرس هذا المفهوم عنوانا لها يختص في هذا العلم ما أصدره المفكر المصري حسن حنفي سنة 1991 تحت عنوان: "مقدمة في علم الاستغراب".

و فيه يرى أن هذا العلم هو: الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من "الاستشراق"، العلم الذي يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلما.[1]

هذا العلم الجديد سيقوم بإعادة الشعور الأوربي إلى وضعه الطبيعي، وإعادة توجهه إلى واقعه الخاص وإذا كان "الاستشراق " قد وقع في التحيز المقصود إلى درجة سوء النية الإرادية

والأهداف غير المعلنة، فإن "الاستغراب" يعبر عن قدرة الأنا باعتبارها شعورا محايدا على رؤية الآخر ودراسته، وتحويله إلى موضوع [2].

إن القضاء على المركزية الأوربية، وبيان كيف أخذ الوعي الأوربي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة مهمة من مهام هذا العلم الجديد، برد ثقافة الغرب إلى حدودها الطبيعية بعد أن انتشرت خارج حدودها ابان المد الاستعماري، من خلال سيطرة الغرب على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة. مهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب، ويجعلها مرادفة لثقافته، وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة . فالفن فنه، والثقافة ثقافته، والعلم علومه، والحياة أساليبه، والعمارة طرازه، والعمران نمطه، والحقيقة رؤيته. مع أن الثقافات بطبيعتها متنوعة، ولاتوجد ثقافة أم، وثقافات أبناء وبنات. ومن هنا أتت عمليات المثاقفة التي تحدث عنها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية؛ والتي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي أو التبادل الثقافي أو التثقيف، وهي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري، ولا نمط سواه، وعلى كل الشعوب تقليده، والسير على منواله. وقد أدى ذلك إلى إلغاء خصوصيات الشعوب وتجاربها المستقلة، واحتكار الغرب وحده حق إبداع التجارب الجديدة والأنماط الأخرى للتقدم» .[3]

3-صعوبات حقل الاستغراب:

على خلاف ما قام به المستشرقون تجاه الإنتاج الفكري العربي من جمع ودراسة وترتيب وطباعة، ولن يبذل المستغربون هذا الجهد ولن ينالوا ذلك الفضل وهي فرصة كما قال بعضهم ، إلا أن الجهد الكبير الذي سيبذلونه يتمثل في استيعاب هذا الكم الغزير من الإنتاج الفكري الغربي المتعدد اللغات.

ويعاني العرب ضعفًا في الاطلاع على هذا الفكر، فعدد الكتب المترجمة سنويًّا تبلغ 330 كتابًا، وهو خُمْس ما تترجمة اليونان وحدها سنويا (1650 كتابًا)، ومعدل الترجمة هذا –في العالم العربي- يساوي 4.4 كتاب لكل مليون من السكان، بينما تبلغ النسبة في المجر 519 كتابًا لكل مليون من السكان، وتبلغ في إسبانيا 920 كتابًا لكل مليون من السكان، فإسبانيا وحدها تترجم سنويًّا عشرة آلاف كتاب .رغم أن عدد سكانها لم يبلغ الـ 48 مليونًا![4]

يقول حسن حنفي: هناك الآن ظلم واقع على الوعي اللا أوروبي إذا أراد أن يكون مبدعًا، نظرًا للحضور المستمر للآخر في الأنا، (منه: هذا) الكم الهائل من المعلومات التي على الأنا معرفتها

من الآخر، والتي على الوعي المستهلك أن يعرفه من الوعي المنتج مما يضيق عمر المبدع عن الإحاطة به واستيعابه. وفي حالة الإحاطة به فإن جانب النقل لديه يكون مثقلًا للغاية بحيث يئن تحت المنقول الذي يثقل على وعيه الحر، ويغطي الواقع ذاته بل ويصبح بديلًا عنه، فيغترب الباحث، ويتعامل مع الظلال دون التعامل مباشرة مع الأشياء.[5]

وقد استمرت الترجمة منذ مائتي عام حتى الآن مما جعل أقصى مشروع لدينا هو ترجمة «الألف كتاب» وأن الكتاب يترجم لدينا أو يقرأ في نفس العام بعد صدوره في بلده الأصلي! فطالت فترة الترجمة إلى قرنين من الزمان، ولم يحدث إبداع بعد ، في حين أن الترجمة الأولى في نشأة الحضارة الإسلامية، لم يمر عليها قرن واحد وهو القرن الثاني حتى بدأ الإبداع بعدها في القرن الثالث، وتم الترويج بيننا لنظرية الصدمة الحضارية، ومؤداها أن معدل إنتاج الغرب أسرع بكثير من معدل ترجمتنا له، وبالتالي فإن الهوة بيننا تزداد اتساعًا على مرّ الأيام. مهما ترجمنا فإننا لن نلحق به حتى نظل نجري وراء الغرب لاهثين، ثم نصاب بعدها بالصدمة الحضارية أي باليأس من التقدم والتمدن حتى على مستوى الترجمة، والنقل دون أن نصل إلى مستوى الخلق والإبداع.[6]

حسب عبد الوهاب المسيري، أن الباحث تقابله في دراسته ثلاثة ذئاب لا بد له أن يتغلب عليها: ذئب المال، ذئب الشهرة، ذئب هيجل المعلوماتي، وهذا الأخير يعني الرغبة في الإحاطة بكل التفاصيل ضمن الموضوع النظري الكبير، وهو حلم كل باحث وكاتب[7].

إن التطور المستمر جعل العلوم البحتة تتوسع وتتفرع ويغزر الإنتاج فيها، مما جعل التخصص ضرورة لا مفر منها، ومن ثَم جعل مجال تأريخ العلوم نفسه أشد صعوبة وقسوة، فإذا كان هذا في العلوم المادية المنضبطة المحكمة فكيف بالعلوم الإنسانية؟! ثم كيف بها بعد فلقد صار التحدي عظيمًا في هذا العصر، وصار حتمًا على الباحث أن يمتلك القدرة على إنتاج تعميم دون أن يأكله ذئب التفاصيل والجزئيات[8].

ولو فرضنا أن إنسانًا ما يقرأ كتابًا كل يوم لمدة أربعين سنة، وهذا مستحيل عمليًّا، لم يبلغ مجموع ما قرأه الخمسة عشر ألف كتاب فقط! وهذا العدد من الكتب تنتجه أمريكا في عشرين يومًا فقط، حسب إحصائيات 2011!

4– تصورات المسيري للأسس العامة التي تقوم عليها الحضارة الغربية:

يرى عبد الوهاب المسير ي أن الحضارة الغربية مفهوم عام ومجرد وليس له اي وجود مادي فعلي، والنموذج المجرد يلجأ إلى تضخيم بعض الصفات والخصائص. لكنه من المهم دراسة تاريخ النموذج الغربي الحديث والعناصر المكونة له للتعرف على سماته بدأ هذا النموذج

في التكون في عصر النهضة ووصل الى درجة من الاكتمال في منتصف القرن الـ19 وبدأت ملامح أزمته بعد الحرب العالمية الأولي، وقد حاول حل أزمته عن طريق الاستعمار المباشر في أول الأمر، ثم عن طريق الاستعمار الجديد وتشجيع حدة الاستهلاك في الداخل، وقد ساهمت عدة عوامل في ظهور النموذج الغربي[9]

وتمثلت أهم السمات البنيوية للنموذج في ظهور العلم الغربي الذي انفصل عن القيمة الأخلاقية والدينية، بل وانفصل عن الإنسان نفسه ليتعامل مع الكم وحس،و ظهور الطبقات البرجوازية داخل المدن التي كانت تضم ميليشيات عسكرية مستقلة عن النظام الاقطاعي، ونما الاقتصاد التجاري الجديد داخل المدن بعيدا عن القيم الاقطاعية الهرمية وبعيدا عن سيطرة الكنيسة الكاثوليكية بقيمها الدينية.

يضاف إليها نمو حركة الإصلاح الديني البروتستانتي التي أكدت على فكرة الخلاص خارج الكنيسة وهي الفكرة التي ستصبح جوهر العلمانية الجزئية بفصلها بين الدين والدولة بحيث تصبح الأمور المدنية والاخلاقية أمور خاصة بالضمير وحده.

أما الثورة البرجوازية فقد عبرت عن نفسها من خلال الفكر العقلاني في القرن الـ 18 ثم الرومانسية في القرن الـ 19 مما أدي إلي تأكيد دور الفرد ككيان عقلي أو عاطفي خالص ، وكل هذه الاتجاهات إلى تقويض دعائم المسيحية وتآكل القيم الدينية والأخلاقية، لذا حينما استولت البرجوازية على السلطة في القرن الـ 19كان مفكروها يطرحون أفكارا تحررية بعيدة عن التراث والأخلاقيات الدينية، وتم التصنيع والتحديث الأوروبي داخل هذا الإطار وأصبحت عملية التصنيع والتحديث على الطريقة الغربية تعني القضاء على الماضي كما تعني الحرب ضد الدين.

يمكن تلخيص الإطار الذي تم فيه التحديث الغربي بأنه إطار علماني شامل أي فصل القيم الدينية والأخلاقية عن مجمل حياة الإنسان في جانبيها العام والخاص، وأصبحت العلاقات الاجتماعية أشياء قابلة للقياس يمكن ردها إلى أساس مادي ما.

يصف المسيري النموذج الغربي انطلاقا من مجموعة من التحيزات حيث يفضل هذا النموذج المادي على حساب الإنساني.والعام على حساب الخاص.والمحسوس والكمي على حساب اللامحسوس والكيفي، والبسيط والواحدي والمتجانس على حساب المركب والتعددي والغير متجانس. والموضوعي على حساب الذاتي. والمصطلحات العامة الوصفية والكمية التي تنبذ المجاز وتبتعد عن التركيب. والدقة في التعريفات والمطالبة بأن تكون جامعة مانعة ويهتم بالتحيز ضد الغائية والخصوصية و للاغائية والعمومية بهدف تيسير التحكم الامبريالي. كما تحيز للنظرية الداروينية والسوق كصورة نهائية للكون والدولة المركزية الاستهلاكية.[10]

هيمن النموذج المعرفي الحضاري الغربي، ولايمكن أن التحرر من قبضته إلا من خلال دراسة متكاملة لمجمل البناء النظري الغربي توضح نقط قوته وضعفه ومواطن تميزه وقصوره.

مواضع القوة في النموذج:

يمكن القول إن النموذج الحضاري الغربي الحديث قد حقق عدة انجازات يمكن أن نذكر منها:

– نجح في الإدارة الرشيدة للمجتمع من خلال مؤسسات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية قادرة على حل المشكلات وتسوية الخلافات دون اللجوء للعنف، ووضع مخططات تضمن استمرار المجتمع من خلال الاجراءات الديمقراطية والفصل بين السلطات.

– نجحت المجتمعات الغربية في حل مشكلة الخلافة عن طريق تداول السلطة دون عنف.

.– احترام حقوق الإنسان السياسية، وتأكيد حرية الفرد.

– ظهور فكرة المواطن الذي يدين بالولاء لوطنه متجاوزا ولاء أسرته وعشيرته، مما يجعل سلوكه في الحياة العامة منضبط لإدراكه أن مفهوم الأخلاق لا ينصرف إلى رقعة الحياة الخاصة حسب، وإنما ينصرف إلى رقعة الحياة العامة وهو ما يسمي بالأخلاقيات المدنية.

.– إنشاء دولة - الرفاه التي تضمن للإنسان الحد الأدني من متطلبات الحياة من تعليم وصحة وضمان اجتماعي.

– تفعيل دور المرأة وتأكيد حيزها المستقل.

– تطور العقلية النقدية والابداع والقدرة على اكتشاف الأخطاء وتصحيحها.

– تطوير المناهج البحثية بما يتلائم مع حركة تطور المجتمع.

– تكوين المؤسسات الكبري عبر اندماج الشركات الكبري واتحادات تضم دول عديدة كأوروبا.

1- أسباب نجاح النمذج:

من عوامل نجاح النموذج الحضاري الغربي قدراته التعبوية والتنظيمية المرتفعة وقد ساهمت الإمبريالية الغربية في نجاح النموذج الحضاري الغربي التي حققت مستوي معيشي مرتفع للإنسان الغربي مكنته من تشييد بنية تحتية مادية قوية وساعدته على تصدير مشاكلة الاجتماعية والمادية إلى الشرق.

كما نجح الغرب في جعل المواطن الغربي يؤمن بالقيم الداروينية الصراعية في الحياة العامة وادارة حياته الخاصة وفق مجموعة من الثوابت الأخلاقية، مما رفع من انتاجية المواطن وانضباطه، لكن مع أواخر الستينات بدأت قيم المنفعة المادية واللذة تتغلغل في الحياة الخاصة، لذا يلاحظ تآكل الأسرة والعزوف عن الزواج والانجاب، كما تآكلت قيم الإيمان بالوطن[11].

3-أهمية النقد الكلي:

يمكن القول إن معظم مزايا النموذج الحضاري الغربي مرتبط بمساوئه، فإدارة المؤسسات والمجتمع بشكل رشيد أمر مرتبط بسيادة النماذج الكمية والبيروقراطية، واحترام حقوق الإنسان مرتبط بالفرد المطلق وتحقيق الامن الاجتماعي مرتبط بالإمبريالية. ومن هنا أهمية ما نسميه النقد الكلي أي دراسة مجمل البناء النظري للنموذج الغربي في جزئياته المترابطة وفي كليته. وعملية النقد الكلي تهدف إلى فرز محتويات المعرفة الغربية لعزل ما هو خاص بالغرب، عن ما يصلح أن يكون عالميا يعبر عن إنسانية مشتركة.

4- لا إنسانية النموذج:

المشروع المعرفي الغربي يحوي نزعات عدمية معادية للإنسان فرغم أن مؤسسات القوة الناعمة الغربية تعلو من العقل الإنساني وتفرده، نجد أن المؤسسات الكبري التي تحدد استراتيجية الغرب تحمل رؤية مختلفة، فهي تنكر على الإنسان عقله، وتمجد الإنسان الطبيعي المادي وظهرت بعض الفلسفات المعادية للعقل وتنفي مركزية الإنسان في الكون والمشروع الغربي ينتهي به الأمر أن ينزع القداسة عن كل شئ إذ يعلن موت الإله ثم موت الإنسان.

5-تناقض المشروع الحضارة الغربية:

إن الاستعانة بالمشروع المعرفي الغربي للتوصل إلى قوانين عامة في الحياة مشروع مستحيل من الناحية المعرفية والعملية، فمن الناحية المعرفية يفترض المشروع بيقين كامل أن رقعة المجهول ستتناقص بالتدريج وستزايد رقعة العلوم، وأن تحكم الإنسان في الكون سيصبح كاملا، وهي افتراضات تتسم بالسذاجة، كما يحاول المشروع الغربي أن يصل إلى مستويات من التعميم لا تبررها درجة المعرفة عند من قاموا بالتعميم.

7-مواطن الأزمة في حضارة الغرب:

بدأت تتضح معالم أزمة الحضارة الغربية الحديثة منذ منتصف القرن الـ 19 ولها أصداء في معظم المعرفة الغربية ويمكن رصد موضوعات وقضايا هذه الأزمة، ثم يتم ربطها الواحدة بالأخرى حتى نصل إلى نموذج تحليلي تفسيري للأزمة، كتفتت الأسرة وتزايد معدلات

الاغترابوغيرها إن المطلوب هو الوصول إلى نظرية عامة لأزمة الحضارة الغربية وأزمة النمط التحديثي الغربي.

8 - نموذجية الانحراف:

تعد الامبريالية والنازية والصهيونية والعنصرية من أبرز تجليات النموذج المعرفي الغربي، ويمكن القول أن دراسة نماذجية الامبريالية الغربية بمعني أن سلبيات هذا النموذج تعبر عن شئ أساسي كامن في الحضارة الغربية، وليس مجرد استثناء أو انحراف، فالمعدلات المتصاعدة للفردية عن التوجه الاستهلاكي الحاد وعلاقتها بالتجربة الامبريالية العلاقة بين الرخاء والرفاهية في الغرب و عملية النهب التي قامت بها الامبريالية فمانهبته انجلترا من الهند يفوق بمراحل ماقمات هي بانتاجه اثناء الثورة الصناعية، ولم تستفد انجلترا اقتصاديا وحسب، بل إنها قامت بتصدير مشاكلها الاجتماعية إلى الشرق مثل الفوائض البشرية (عمال متعطلون، مجرمون يهددون نسيج المجتمع) والأقليات غير المرغوب فيهم (اليهود إلى فلسطين)، كل هؤلاء تم تصديرهم إلى الشرق مع كم هائل من السلع.

عائد التقدم محسوس ويمكن قياسه إما ثمنه فهو غير محسوس ويصعب قياسه، كما يلاحظ تداخل ثمرة التقدم مع ثمنه مثل تداخل ثمن التقاليد مع ثمرتها. وعندما نتحدث عن ثمن التقدم نشير إلى الظواهر الاجتماعية السلبية كالمخدرات والإباحية وتآكل الأسرة وتراجع التواصل بين الناس لانتشار التقنية وتنامي الامراض النفسية وتزايد معدلات الجريمة وانتشار فلسفات العدمية والعنف والقوة والصراع (الداروينية الاجتماعية والنيتشوية) وتزايد الإنفاق الحكومي على التسليح.

عملية حساب التكلفة المادية والمعنوية لهذة الظواهر السلبية (ثمن التقدم) مع تحويل المعنوي إلى مادي تعد عملية صعبة، ويطرح الدكتور المسيري مفهوم التخلف الكوني في مقابل التقدم العلمي الصناعي، فمنذ عصر النهضة والإنسان الغربي يتحدث الثمرات التي يجنيها الإنسان من وراء التقدم الصناعي، ولكننا نعرف الآن أن هذا التقدم الصناعي يؤثر بشكل مدمر على البيئة والغلاف الجوي وهو مايسميه بالتخلف الكوني. ولنا أن نلاحظ أن التقدم الصناعي يفيد الغرب وحده بينما التخلف الكوني فيؤثر علينا جميعا. ولذا لابد أن تتناول حسابات ثمن التقدم، الظواهر البيئية كتآكل طبقة الأوزون وتلوث البحار والتصحر الناتج عن قطع الغابات وتلوث الهواء.

ثمة إحصائية تذهب للقول أنه لو تم حساب التكاليف الحقيقية لأي مشروع صناعي، أي حساب المكسب المادي مخصوما منه الخسارة الكونية والإنسانية لظهر أن المشروع خاسر.

ومن حسن الطالع بدأت تظهر في الغرب جماعات مثل الخضر تتحدي المفهوم المادي للتقدم وتبدي اهتماما بقيم غير مادية وإدخال مؤشرات كيفية مثل التنمية المستدامة.

إن الإنسان لا يدرك شيئا مما حوله بشكل مباشر، إلا من خلال "نموذج معرفي" يتم تكوينه تدريجيا- أحيانا بشكل واع وغالبا بشكل غير واع- حتى يصبح جزءا من وجدانه وسليقته وإدراكه، بذلك يصبح النموذج المعرفي هو المنظار الذي ينظر من خلاله إلى الواقع، أما الإدراك المباشر للواقع بتفاصيله المتناثر فهو تلق سطحي للأمور مثل عدسة الكاميرا لا يؤدي إلى أي فهم عميق حقيقي[12] ويضرب المسيري مثالا طريفا لدور النموذج المعرفي على المستوى الشخصي، فيروي لنا كيف أن عددا من السيدات في الولايات المتحدة أخبرنه أن رائحته جميلة للغاية وبدأت تساوره الأوهام بأن سحره لا يقاوم، حتى أخبرته زوجة صديقه المؤرخ كافلين رايلي أن عطر نوعه: أولد سبايس الذي اشتراه مع زوجها كان هو الوحيد تقريبا المتاح في الستينات، ولابد أن آباء هؤلاء النسوة كانوا يستعملونه، ومن ثم فهو يذكرهن بطفولتهن، حينئذ تغيرت تمام رؤية المسيري للموقف بعد معرفة السبب أي معرفة النموذج المعرفي الكامن وراء الموقف ؛اختلفت فورا صورة "دون جوان" الخطير وحلت محلها صورة الأب الوقور الحنون، وتبين هذه الحادثة، كيف يصبح واقعنا تفاصيل متناثرة وأوهاما لم نفهم النموذج المعرفي الحاكم وراءه[13].هذا الإدراك لخلفية التفكير وإصدار المواقف من الناس في الغرب يؤسس لفهم سليم ليس فقط لتلك المواقف ولكن كذلك للمفاهيم والفلسفات التي تأسس ضمن صيرورة تاريخية في تلك الثقافة. هذا المبدأ في رؤية المسيري أي التروي في الفهم لا يمكن الاعتماد على ما تقرره الكتب والأسفار. فمن الخطأ بحسب إدوارد سعيد افتراض إمكان تفهم الفوضى التي يعيش فيها البشر، استنادا لما تقوله الكتب، أو النصوص، أي إن التطبيق الحرفي لما يتعلمه الإنسان من كتاب ما على الواقع يعرضه لخطر ارتكاب الحماقة أو الدمار[14]

وقد أورد المسيري بدوره مقتطفا من قصصه اللطيفة في هذا السياق التي تظهر استعلاء المثقف الغربي بمناهجه وتصوره للشرقيين بأن عقولهم أقل إدراكا وفهما ووعيا، وهو بصدد سرد قصته مع البروفسور **إيان جاك** أستاذ الأدب الرومانتيكي الانجليزي في جامعة كمبردج بموقف المسيري من التعميم في التعامل مع الأدب عكس البروفسور الذي يهتم بالجزئيات، فيقول المسيري:" لم تكن المناقشة ودية على الإطلاق، ولعله كان يتوقع من طالب دراسات عليا مثلي(من إفريقيا) أن يذعن تماما لآرائه، ولكنه فوجئ بموقفي هذا. وبطبيعة الحال رفض الدكتور جاك أن يساعدني على الالتحاق بجامعة كمبردج، ولذا سافرت إلى الولايات المتحدة، إلى جامعة كولومبيا في نيويورك[15]وأتم المسيري قصته بكون نفس البروفسور اختار أحد زملائه ليلحقه بكمبردج ولكنه قام "بتسويته" تماما هنالك و"تبطيطه"، إذ طلب منه أن يقرأ في كل شيء تقريبا. ويكتب أطروحته عن شاعر فكتوري مغمور، مما جعل الباحث يناقش أطروحته

ولم يكتب بعدها كلمة طيلة حياته، بعد حصوله على الدكتوراه، تأثرا بأستاذه الذي لا يحب التعميم [16]

بعض المثقفين والباحثين الذين يعودون من الغرب،-ولأنهم لم يمتلكوا مشروعا ولا رؤية ولا إدراكا لهدفهم ولتأثرهم بالمشرفين عليهم من المستشرقين وغيرهم ورجعوا بخفي حنين-، لم يقدموا لأمتهم بعدها أي جديد أو أنهم تورطوا في مشاريع أيدلوجية تكمل عملية التغريب وتوسع دائرة الاستشراق ولكن بأيد عربية أصيلة، عكس البعض الآخر من الباحثين الذين امتلكوا منذ البداية رؤية ومشروعا وقدموا خدمات علمية لثقافتهم بعد استكمالهم لدراساتهم بالغرب. رغم التحديات والعوائق المادية والثقافية التي واجهتهم، وعبد الوهاب المسيري من النماذج القلائل الذين وظفوا معرفتهم من أجل تحرير الوعي الشرقي من هيمنة الانبهار بالغرب، ونعتقد أنه أسس بمشاريعه المختلفة مقدمة لـ"علم الاستغراب" والتي يجب الانتباه إليها والاعتكاف على دراستها.

ولأننا نتحدث عن المصاعب التي تواجه الباحثين الجادين خصوصا إذا تعلق الأمر بإشكالية صناعة حضارة أمة وترسيخ هويتها، نسرد قصة عن بعض تلك التحديات والمعيقات التي واجهت المسيري، فيحكي عن الصراع الذي دار بينه وبين لجنة مناقشة أطروحته لنيل الدكتوراه خصوصا موقف الاختلاف بينه بين البروفسور جورج أحد مناقشيه، إذ حذر المسيري المشرف على أطروحته البروفسور وايمر من ذاك الأستاذ، قائلا له إن الهوة الفكرية التي تفصل بينه وبين جورج ضخمة، وبالتالي سيكون من الصعب عليه مناقشة رسالته، باعتبار جورج من أنصار نهاية التاريخ والمسيري من أنصار المذهب الإنساني، ليرد المشرف وايمر ممازحا إياه:" أنت ديكتاتور وسلطان شرقي لا تفهم الديمقراطية الأمريكية وروح الليبرالية" ليرد المسيري:" أنا أفهم جيدا حدود الديمقراطية والليبرالية؛ هناك خطوط حمراء إن عبرتها قضي علي، وقد عبرت هذه الخطوط في رسالتي للدكتوراه: طالب من العالم الثالث يتحدى الرؤى الغربية السائدة، بل يتعامل مع الحضارة الأمريكية بطريقة أنثروبولوجية محايدة، تماما كما يتعامل أي أنثروبولوجي غربي مع إحدى القبائل الافريقية [17]."وفي الأخير صعق المشرف وايمر بحكم أن البروفسور جورج قد أعاد رسالة الدكتوراه بعد ساعتين من تسلمه لها، وزعم أنه فعل ذلك بسبب وجود خطأ في علامات الترقيم في الصفحة الثانية! فصعق الأستاذ المشرف وأخبر المسيري -ممازحا له-بأن ما قاله عن حدود الديمقراطية -سابقا-على ما يبدو صحيح. [18]

هذا الموقف يلخص رؤية المسيري وفهمه للغرب وما يدور حوله من خلفيات وحساسيات ثقافية وسياسية ورؤيته فيها عن أهل الشرق، ويكشف لنا قدرة المسيري على الدفاع عن مواقفه وترجيحاته العلمية وعمق إدراكه للمناهج الغربية المختلفة بل قدرته على المحاججة بها، وكذا

تمكنه من توظيفها في مشاريعه البحثية بموضوعية وحيادية وبكل ثقة وبلا خوف، ليفسر بها الظواهر الإنسانية وتحولاتها التاريخية والمعرفية.

---

[1] -حسن حنفي" :مقدمة في علم الاستغراب "،مطبعة الدار الفنية القاهرة 1991 ، ص 29

[2] - نفس المرجع ص 31 – 32

[3]- نفسه ص: 36

[4]- محمد الهامي صعوبة دراسة الحضارة الغربية https://www.sasapost.com/opinion/western-civilization-3

[5] - حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب، ص 47

[6] - نفسه، ص: 66-67

[7] - عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية ص133

[8] - محمد الهامي ، صعوبة دراسة الحضارة الغربية

[9] - عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،ط1، 2006 ص: 50

[10] عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،ط1، 2006 ص 55

[11] عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،ط1، 2006

[12] - عمرو شريف، **ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية قراءة في فكره وسيرته**،فرست بورك للنشر والتوزيع،القاهرة، الطبعة 3، سنة 2014م ص09.

[13] - عمرو شريف، **ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري**، ص10

[14] - إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، طبعة رؤية للنشر والتوزيع ، سنة 2006م، ص169

[15] - عبد الوهاب المسيري، **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية**، دار الشروق، القاهرة سنة 200م، ص105-106

[16] - عبد الوهاب المسيري، **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية**، دار الشروق، القاهرة سنة 200م، ص106.

[17] - **رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، سيرة غير ذاتية غير موضوعية** ، ص233.

[18] -عمر شريف، **ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية قراءة في فكره وسيرته**،فرست بورك للنشر والتوزيع،القاهرة، الطبعة 3، سنة 2014م،ص239.